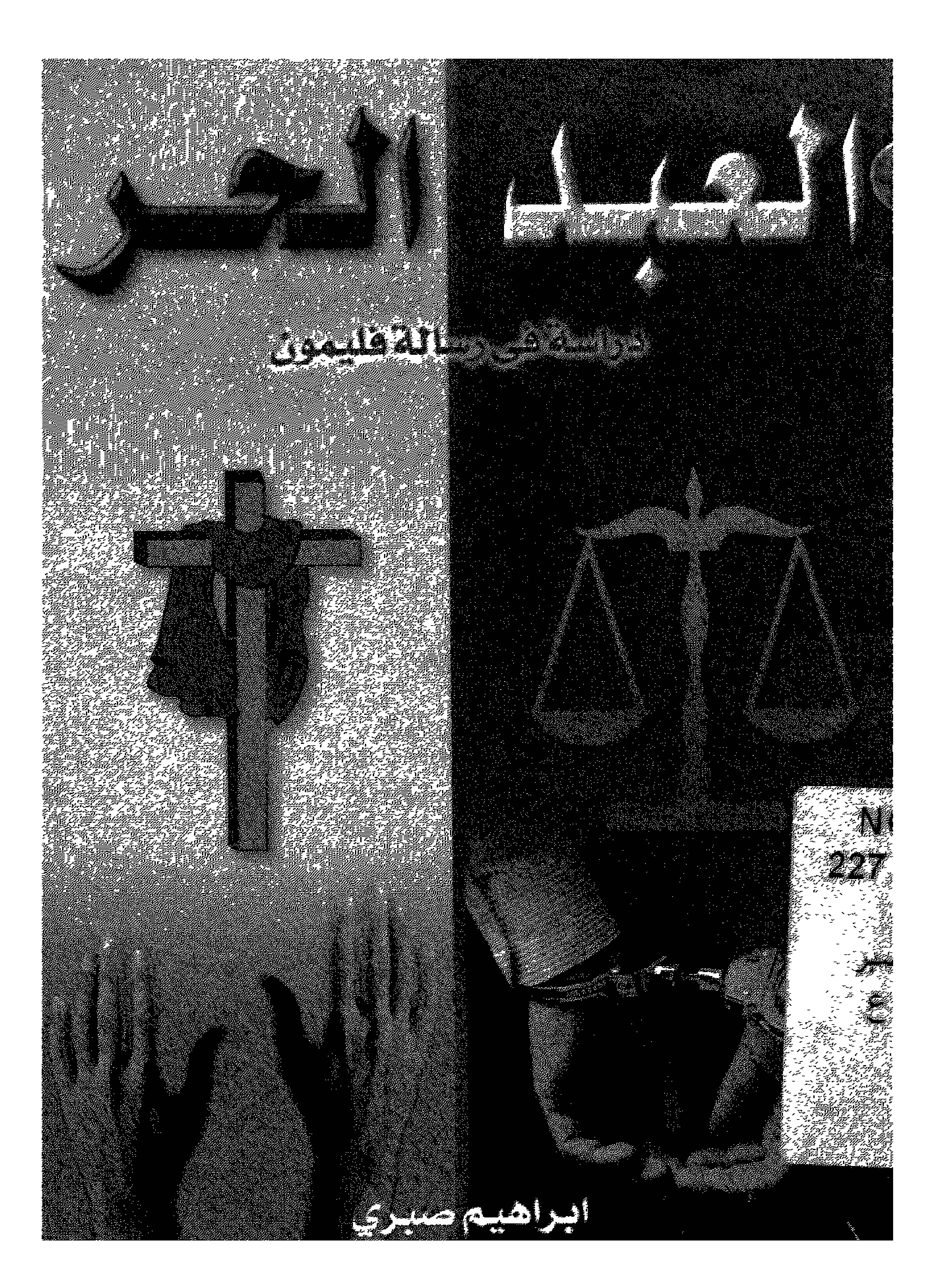

العبد الحر
دراسة في رسالة فليمون
ابراهيم صبري

العبد الحر

تقديم

ابراهيم صبري

طبعة أولى

٢٠٠١

مقدمة

يذكر لنا الكتاب المقدس، في العهد الجديد، أربعة عشر رسالة كتبها الرسول بولس. كشف فيها الإيمان المسيحي وتناوله فيها بالشرح والتحليل والإرشاد، مع وضع الحلول لكثير من المشكلات. أرسل الرسول تسعا من رسائله هذه إلى كنائس مختلفة، وواحدة إلى الشعب اليهودي عموما (رسالة العبرانيين). والأربع الباقية أرسلها إلى أفراد. ومنها الرسالة إلى فليمون موضوع دراستنا.

تختلف الرسالة إلى فليمون عن باقي رسائله جميعا في أنها رسالة شخصية بحتة، لم يتناول فيها الرسول أية موضوعات تعليمية أو عامة. ولكنها تركزت في موضوع شخصي واحد محدد بالذات.

مَنْ هو فليمون؟

«فليمون» اسم يوناني معناه "صديق" أو "محب". وهو اسم الشخص الذي وُجِّهت إليه الرسالة. لا يُعرف شيء عن فليمون غير ما ذُكر عنه في هذه الرسالة، التي منها يتضح أنه كان مقيماً في كولوسي وقت كتابتها إليه.

ويرجح أنه كان أحد مواطنيها بدليل:

١ - أن الآيتين الأولى والثانية من هذه الرسالة تدلان على أن فليمون وأرخِبُس كانا معاً في مكان واحد. وأن الآية (٤: ١٧) من الرسالة إلى كولوسي تدل على أن أرخِبُس كان في كولوسي. إذاً. فليمون كان أيضاً في كولوسي.

٢ - تشير الآية (١٦) من هذه الرسالة إلى أن أنسيمس كان عبداً عند فليمون. والآية (٤: ٩) من الرسالة إلى كولوسي تصف أنسيمس بأنه واحد من أهل كولوسي. إذاً لابد أن يكون فليمون أيضا واحدا من أهل كولوسي.

ويتضح من مضمون هذه الرسالة أن فليمون كان رجلاً غنياً، ذا مكانة مرموقة في المجتمع، وكان بيته كبيراً إذ كان معتاداً أن يستضيف الزوار بكرم واضح. كما يتضح من الآية (١٩) أنه كان قد وُلد من الله بواسطة خدمة الرسول بولس.

مكان وتاريخ كتابة الرسالة

يشير العدد الأول من الرسالة إلى أن الرسول بولس كان قد كتبها أثناء فترة وجوده في السجن. وبمقارنة ما جاء في ختام هذه الرسالة مع ما جاء في ختام الرسالة إلى أهل كولوسي نجد أن كل من الرسالتين قد كُتبت على يد أنسيمس مما يفيد أن الرسالتين قد كُتبتا في نفس الوقت. ونظراً لأن تيموثاوس

كان ملازماً للرسول وقت كتابة الرسالتين. كما هو واضح من افتتاحية كل منهما، لذلك يرجح الشراح أن الرسالتين قد كُتبتا أثناء فترة سجن الرسول الأولى في روما. إذ أن تيموثاوس لم يكن مع الرسول في فترة سجنه الثانية.

بناء على ما تقدم، فالمرجّح أن يكون الرسول قد كتب هذه الرسالة ما بين عام ٦٢ وعام ٦٤ ميلادية من مدينة روما.

ظروف كتابة الرسالة

كان أنسيمس عبداً عند فليمون - سواء بالشراء أو بالميلاد - ثم، لسبب أو لآخر، هرب من خدمة سيده، بعد أن سطا على بعض أمواله، وسافر إلى روما التي تبعد عن كولوسي حوالي ألف ميل، أي ما يعادل حوالي ١٧٦٠ كيلومتراً تقريباً. ولكن الله، في رحمته العظيمة، رتّب لهذا العبد السارق الهارب أن يلتقي مع الرسول بولس في روما أثناء سجنه، ويتأثر به جدا وبتعاليمه، فتعرف على الرب وتقابل معه ووُلد ولادة ثانية وصار بذلك مؤمناً مسيحياً حقيقيا.

لم يذكر لنا الكتاب المقدس كيف تقابل أنسيمس مع الرسول بولس. ولكن واضح من هذه الرسالة ومن الرسالة إلى القديسين في كولوسي أن الرسول احتضنه وأحبه جداً لدرجة أنه يصفه «الذي هو أحشائي» (فليمون١٢) و«أخاً محبوباً» (فليمون ١٦)، كما يصفه بـ«الأخ الأمين الحبيب» (كولوسي ٤ : ٩).

في هذه الرسالة يتوسط الرسول بولس بين العبد السارق الهارب

«أنسيمس»، الذي تغيّر وأصبح مؤمناً حقيقياً. وبين سيده «فليمون». ملتمسا من السيد أن يعفو عن العبد وأن يقبله لديه مرة أخرى. ونظرا لأن العلاقة بين السادة والعبيد عموماً كانت تنظمها قوانين الدولة الرومانية حينذاك. كما كانت تخضع للقواعد الاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك الحين. لذا نجد الرسول يتوخى الدقة والحذر في أسلوبه، خوفاً من أن يُفهم من رسالته أنه ينادي بتحرير العبيد. أو أنه يحث على عدم الخضوع للقوانين والنظم المعمول بها. هذا من ناحية، وحتى لا يُفهم خطأ – من جهة أخرى – أن ما يطلبه هو تعليم مسيحي. فالمعروف أن المسيحية لم تأتِ لتُقيم مُلكاً أرضيا. أو لتنادي بثورة إصلاحات اجتماعية، بل بالحري تُحرِّض على الخضوع للسلاطين والرؤساء. مكتوب «لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة، لأنه ليس سلطان إلا من الله، والسلاطين الكائنة هي مرتَّبة من الله. حتى أن مَن يُقاوم السلطان يُقاوم ترتيب الله، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة» (رومية ١٣: ١-٢). فالمسيحية لم تأتِ لتحرر العبيد من عبودية أسيادهم من البشر. وإنما جاءت أساساً لتحرر الإنسان عموماً من عبودية الخطية. ولتفك أسره من قيود إبليس. ولتقرِّبه إلى الله، ولتُعده لمملكة السماء. فالسماء هي الوطن الأصلي لجميع المؤمنين الحقيقيين، إذ أنهم ليسوا من العالم (يوحنا ١٥. ١٩)، ولكنهم أهل بيت الله (أفسس ٢: ١٩) وورثة مع المسيح (رومية ٨: ١٧). ونظرا لأن مملكة المسيح الآن ليست من هذا العالم (يوحنا ١٨: ٣٦)، لذا فإن فترة وجود المؤمنين

الحقيقيين على الأرض – سواء كانوا أسياداً أم عبيداً – إنما هي فترة زمنية مؤقتة. يكون كل واحد منهم فيها ملح للأرض ونور للعالم (متى ٥: ١٣-١٤). سريعاً ما تنتهي لينتقل كل منهم في دوره إلى موطنه الأصلي الأبدي في السماء لذا يجب على المؤمنين أن يعيشوا فترة غربتهم على الأرض منادين ببشارة الخلاص، وكارزين بالإنجيل للخليقة كلها (مرقس ١٦: ١٥)، مسالمين جميع الناس على قدر طاقتهم (رومية ١٢: ١٨).

لم يكن الأمر سهلاً على أنسيمس أن يقف مرة أخرى أمام سيده. رغم أن نعمة الله كانت قد عملت فيه وغيّرته. كما أن الرسول كان يُقدّر تماما صعوبة الموقف، ومدى الخطورة المحتمل أن يتعرض لها أنسيمس عند عودته إلى سيده. إذ أنه حسب القانون الوضعي حينئذ كان العبد السارق معرضا للجلد والحبس. بل وحتى إلى الموت. جميع هذه الملابسات دفعت الرسول بولس أن يكتب هذه الرسالة إلى فليمون (السيد)، شارحاً وشافعاً ومتوسلاً وطالباً الصفح عن أنسيمس (العبد)، بل وقبوله مرة أخرى. لا كعبد له فقط في هذه المرة. ولكن أيضا كأخ له في الإيمان. ونظراً لأن الرسول كان واثقاً كل الثقة في مدى محبة وتقدير فليمون له ومدى احترامه لإرادته، وأنه لن يرفض له طلباً. لذا نراه يكتب رسالته ويجعل أنسيمس نفسه هو الذي يحملها إلى سيده فليمون.

لقد رأى الله أن تكون هذه الرسالة القصيرة التي أمامنا رسالة مقدّسة. وأن تكون ضمن كلمته الموحى بها، لما تتضمنه من حق ثمين، إذ أنها تصوِّر

لنا حقيقة الفداء في صورة عملية بسيطة وعميقة للغاية.

من هو أنسيمس؟

«أنسيمس» اسم يوناني معناه "نافع" أو "مفيد". كان أنسيمس عبدا عند فليمون ثم سطا على بعض أموال سيده وهرب إلى روما. رتبت العناية الإلهية أن يتقابل أنسيمس مع الرسول بولس في روما ويتأثر به ويتحول إلى خليقة جديدة في المسيح. أصبح أنسيمس بعد اهتدائه شخصاً نافعاً بالحقيقة لكل من الرسول شخصياً (انظر الآية ١١)، وللكنيسة عموما كما هو واضح من (كولوسي ٤ : ٩). ومما جاء في ختام هذه الرسالة إذ مكتوب «كتبت من رومية على يد أنسيمس الخادم».

محتويات الرسالة

بالرغم من أن هذه الرسالة شخصية وقصيرة، إلا أنه يمكن تقسيمها إلى أربعة فصول هي:

الفصل الأول :	تحية افتتاحية	من العدد ١	إلى العدد ٣
الفصل الثاني :	تقديم الشكر للرب	من العدد ٤	إلى العدد ٧
الفصل الثالث :	الهدف من الرسالة	من العدد ٨	إلى العدد ٢١
الفصل الرابع :	ختام الرسالة	من العدد ٢٢	إلى العدد ٢٥

الفصل الأول

التحية الافتتاحية

هذا الفصل عبارة عن التحية الافتتاحية لهـذه الرسالة. ويشمل التحية إلى فليمون وأفراد أسرته، وإلى المؤمنين الذين يجتمعون في بيته.

الآيـــة ١

«بولس، أسير يسوع المسيح»

نظراً لأن هذه الرسالة رسالة شخصية، مرسلة من صديق إلى صديقه. لذا لم يكن الرسول بولس محتاجـاً أن يقدِّم نفسه فيها بصفته الرسمية كرسول يسوع المسيح، كما اعتاد في سائر رسائله، خصوصاً وأن صديقه فليمون كان يعرف عنه هذه الصفة الرسمية حق المعرفة.

ونظراً لأن الرسول كان مزمعاً أن يتشفع في هذه الرسالة في أنسيمس عبد صديقه، ذلك العبد الذي كان قد خان سيده، وأصبح معرضاً لتوقيع العقوبات

عليه ومنها الحبس، لذلك فقد رأى – بإرشاد الروح القدس – أن يُظهر نفسه في موقف مشابه للموقف الذي سيتعرض له العبد. فالرسول هنا يستهل الرسالة بتعريف نفسه أنه أسير سيده الرب يسوع المسيح، الذي سامحه على الصليب في كل ما أخطأ به نحوه. بهذا الأسلوب السامي الرقيق يُهيئ الرسول مشاعر صديقه للاستعداد لسماع الالتماس اللاحق، ويوحي له بالموافقة عليه. هذا الالتماس الذي سيتضمن التسامح والعفو عن أنسيمس، وقبوله مرة ثانية. خصوصاً وأن أنسيمس كان قد قَبِل الإيمان على يد بولس، وأصبح أخاً في الرب. هذا التسامح قائم على أساس عمل المسيح على الصليب وعلى أساس كلمة الله التي تقول «كونوا... متسامحين كما سامحكم الله أيضاً في المسيح» (أفسس ٤ : ٣٢)، وأيضاً «محتملين بعضكم بعضاً ومسامحين بعضكم بعضا إن كان لأحد على أحد شكوى، كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضاً» (كولوسي ٣: ١٣) .

«وتيموثاوس الأخ» •

«تيموثاوس» اسم يوناني معناه "عابد الله". كان تيموثاوس ملازماً للرسول وقت كتابة هذه الرسالة في روما. والرسول هنا يُشركه في التحية رغم أن لُبّ الرسالة كان صادراً من قلب بولس إلى قلب فليمون، وذلك باعتباره شريكه في الخدمة. هذا يوضح أن خدمة بولس كانت "خدمة فريق" إذ كان كثيراً ما يذكر أسماء معاونيه في رسائله. والجدير بالملاحظة هنا أن الرسول يدعو تلميذه تيموثاوس بلقب «الأخ» رغم فارق السن الكبير بينهما، ورغم أن الرسول هو الذي

ولد تيموثاوس في الإيمان (تيموثاوس الأولى ١ : ٢). متشبّها في ذلك بسيده الذي لا يستحي أن يدعونا – نحن المؤمنون – أخوة (عبرانيين ٢: ١١) .

«إلى فليمون المحبوب والعامل معنا»

يعبِّر بولس في افتتاحيته عن مدى عمق محبته لأصدقائه المؤمنين. وبالأخص فليمون الذي كان قد وُلد من الله بواسطة خدمة بولس (آية ١٩). فكان سبب بركة للآخرين (آية ٧). لذلك نجد أن لفليمون مكانة خاصة في قلب الرسول كابن له في الإيمان يستحق معها أن يدعوه «المحبوب».

كذلك نجد الرسول هنا يصف صديقه بالقول «العامل معنا» إلا أن هذه العبارة «العامل معنا» لا تدل صراحة على أن فليمون كانت له صفة أو وظيفة رسمية في الكنيسة، إذ أن الرسول وصف مرقس وأرسترخس وديماس ولوقا بنفس الوصف «العاملون معي» (آية ٢٤). إلا أن هذه الآية تعطينا انطباعا بان فليمون كان له دور هام في نشر الإنجيل. سواء بالكرازة بالكلمة. أو بدفع وتشجيع حركة الكرازة بما له من نفوذ وثراء ومكانة مرموقة في المجتمع. هذا يُعلِّمنا أن العمل في حقل الرب لا يقتصر علي الكرازة الشفوية، ولكنه يمتد ليشمل كل نشاط أو تشجيع، سواء كان مادياً أو معنوياً. ويجب أن نضع في الاعتبار أن يكون «العامل معنا» قد تقابل أولاً مع الرب يسوع المسيح مقابلة شخصية؛ أي أن يكون قد آمن بذاك الذي تحمل كل هذه الآلام على خشبة العار من أجل خلاص نفسه هو. إن الشخص الذي لا يؤمن بهذا العمل

العجيب الذي تم على الصليب ويخصص هذا العمل لنفسه، تظل خطاياه وآثامه محسوبة عليه ويظل تحت حكم الدينونة الأبدي. لذلك فإن كل ما يقدمه مثل هذا الشخص للرب – مهما كانت قيمته المادية أو الأدبية – فهو مرفوض من قِبَل الرب، إذ مكتوب «ذبيحة الأشرار (أي تقدماتهم) مكرهة الرب» (أمثال ١٥: ٨)، بل حتى صلاتهم غير مقبولة لدى الله، إذ مكتوب أيضاً «إن راعيت إثماً في قلبي لا يستمع لي الرب» (مزمور ٦٦: ١٨). وهل هناك إثم أشرّ من عدم قبول الرب يسوع المسيح مخلصاً شخصياً للإنسان؟!

إذاً فلنفحص أنفسنا الآن قبل فوات الأوان، ولنُقبل إلى الله معترفين بخطايانا، قابلين الرب يسوع المسيح مخلّصاً شخصياً لكل منا، واثقين أن «دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية» (يوحنا الأولي ١: ٧)، فنتمتع بخلاص أبدي عظيم إذ مكتوب «الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية. والذي لا يؤمن بالابن لن يري حياة، بل يمكث عليه غضب الله» (يوحنا ٣: ٣٦). وهكذا تكون تقدماتنا وصلواتنا مقبولة ومرضية أمام الله لأنه «بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه» (عبرانيين ١١: ٦).

الآيـــة ٢

«وإلى أبفية المحبوبة»

«أبفية» اسم يحمل معنى "التعزيز" أي "عزيزة". ونظراً لأن الرسالة

شخصية وخاصة، لذلك يُرجح أن تكون هي زوجة فليمون. وإلا فما الداعي لذكر اسمها هنا؟! والرسول يذكر اسمها في الرسالة لحكمة خاصة. إذ بذلك يُعبر عن تقديره لـدور الزوجـة ولـمكانتها في بيتـها، وليُـبرز أن لرأيـها في موضـوع قبـول أنسيمس في بيتها مرة أخرى اعتباراً خاصـاً، إذ يتوقـف عليـه قبولـه أو رفضـه. ويتضح من وصفها بـ «المحبوبة» أنها كانت قد قبلت الإيمان المسيحي.

«وأرخِبُس المتجند معنا»

«أرخِبُس» اسم يوناني معناه "المتسلط على الفـرس". والمرجَّـح أنـه ابـن فليمون وأبفية اعتماداً على ذكر اسمه معهما في الرسالة.

كان أرخِبُس خادماً في كنيسة كولوسي. وكان عليه أن يتمم خدمة معينـة كـان سـبق وقبلـها مـن الـرب (كولوسـي ٤: ١٧)؛ لذلـك يدعـوه الرسـول هنـا بـ«المتجند معنا». واصطلاح «المتجند معنا» هو وصف لحالة أرخِبُـس. ويعـبِّر عن فكرة الصراع والخدمة الشاقة التي يقـوم بـها الخـادم في سـبيل نشـر الحـق الإلهي مع التطلع إلى النُصـرة في النهايـة. وقـد سـبق أن أضفـى الرسـول هـذا الوصـف على أبفرودتس (فيلبي ٢. ٢٥).

إن المؤمنين الحقيقيين هـم دائمـاً، وعلـى مـر العصـور، في معركـة مستمرة مـع أجناد الشر الروحيـة في السـماويات (أفسـس ٦: ١٢)، يقـاومون محبـة العـالم (يعقوب ٤: ٤)، واهتمامات الجسد (روميـة ٨: ٧). لذلـك يحـرص الرسـول

بولس على تشجيع تلميذه تيموثاوس قائلا له «فاشترك أنت في احتمال المشقات كجندي صالح ليسوع المسيح» (تيموثاوس الثانية ٢ : ٣).

«وإلى الكنيسة التي في بيتك»

يرى البعض أن هذه العبارة يُقصد بها عائلة فليمون فقط استناداً إلى أن:

١ – الرسالة رسالة شخصية وليست رسالة عامة.

٢ – هناك رسالة أخرى أرسلت في نفس الوقت ومع نفس الشخص إلى «القديسين في كولوسي والأخوة المؤمنين في المسيح» (كولوسي ١ : ٢).

إلا أن البعض الآخر ينظر لهذه الرسالة بنظرة أوسع، لتشمل جميع المؤمنين الذين اعتادوا أن يجتمعوا باسم الرب في بيت فليمون ككنيسة. مستندين في ذلك إلى الآتي:

١– لو كانت هذه الرسالة شخصية بحتة، فما الداعي لذكر عبارة «وإلى الكنيسة التي في بيتك» بعد أن ذكر الرسول أفراد العائلة فرداً فرداً كل منهم باسمه؟!

٢– بما أن قبول فليمون لأنسيمس المؤمن كان سيترتب عليه بالتالي اشتراك أنسيمس مع باقي المؤمنين في العبادة، فإن ذلك كان يتطلب وقوف أعضاء الكنيسة التي في بيت فليمون على حقيقة موقف ووضع أنسيمس، حتى يبتوا في موضوع قبوله بينهم كأخ.

٣- أن اجتماعات الكنائس في البيوت كانت ظاهرة معروفة ومنتشرة في ذلك الوقت بدليل وجود كنيسة في بيت أكيلا وبريسكلا (رومية ١٦: ٥، كورنثوس الأولى ١٦: ١٩). وكنيسة في بيت نمفاس (كولوسي ٤: ١٥).

٤- يبدو أن مدينة كولوسي كانت متسعة الأرجاء في ذلك الزمان. بدليل وجود عدة كنائس في البيوت فيها، علاوة على الكنيسة المحلية للمدينة. من هذه الكنائس الكنيسة التي كانت في بيت نمفاس (كولوسي ٤: ١٥). والكنيسة التي كانت في بيت فليمون.

الآيـة ٣

«نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح»

هذه هي الافتتاحية المختارة عند الرسول بولس. ونلاحظ أن النعمة دائماً تسبق السلام، لأنه لا يمكن أن يكون هناك سلام بدون نعمة الخلاص. من أين يأتي السلام، أو كيف يملأ السلام قلب الإنسان الغير مطمئن على مصيره الأبدي ؟! «لا سلام، قال الرب، للأشرار» (اشعياء ٤٨: ٢٢). مكتوب «الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله» (يوحنا ٣: ٣٦). من ذلك يتضح أن المؤمنين الحقيقيين يتمتعون بالسلام والطمأنينة لأن ضمائرهم قد استراحت من

جهة الأبدية إذ قد ضمنوا الحياة الأبدية بعد أن رُفعت عنهم الدينونة إلى الأبد. مكتوب «إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع» (رومية ٨: ١). أما أولئك الذين رفضوا أن يملك المسيح عليهم فإليهم قول الوحي الإلهي «ولولوا يا لليوم» (حزقيال ٣٠: ٢). لأنه مكتوب عنهم بفم الرب نفسه له المجد «أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي» (لوقا ١٩: ٢٧).

إن المؤمن الحقيقي يتمتع بنوعين من السلام «سلام مع الله» و«سلام الله» أو «سلام من الله».

السلام مع الله

يحصل المؤمن على «السلام مع الله» لحظة إيمانه القلبي بالرب يسوع المسيح إذ مكتوب «فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح» (رومية ٥: ١).

هذا السلام قائم على أساس التبرير المجاني الممنوح للخاطي لحظة إيمانه. إلا أن مجانية التبرير هنا ليست مجانية مطلقة، ولكنها مجانية من جانب واحد فقط، هو جانب الإنسان. فالإنسان لا يتحمل أي شئ في سبيل الحصول على هذا التبرير، إذ مكتوب «متبررين مجاناً بنعمته» (رومية ٣: ٢٤). أما من جانب الله، عز وجل، فقد كان لهذا التبرير ثمناً غالياً وثميناً للغاية حتى أنه

لا يمكن تقديره أو التعويض عنه ولا بكل ما في العالم من ثروات. فهذا التبرير قد كلف الله بذل ابنه الوحيد الغالي، إذ مكتوب «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يوحنا ٣ : ١٦). لذلك يُكمل بولس الرسول كلامه لأهل رومية في الآية السابقة قائلاً «متبررين مجانا بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه» (رومية ٣: ٢٤-٢٥). فالسلام مع الله قائم علي أساس هذا التبرير الممنوح مجاناً للخاطي لحظة التوبة والإيمان.

سلام الله أو سلام من الله

هذا هو السلام الذي يحتاج إليه المؤمن في حياته اليومية، وهو سائر في هذا العالم الموضوع في الشرير والمملوء بالمتاعب والمضايقات. إنه هو السلام الذي وعد به الرب يسوع المؤمنين حين قال لهم «سلامي أعطيكم، ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا. لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب» (يوحنا ١٤ : ٢٧) إنه سلامه الشخصي، سلامه كابن الإنسان الذي عاش بيننا وجاز في الآلام والتجارب مثلنا، وفي كل هذا لم يفقد سلامه ولا مرة واحدة. فالرب حتى أثناء آلام الصليب الرهيبة لم يفقد سلامه، بل بكل الحب وفي سلام كامل صلى إلى الآب من أجل صالبيه قائلاً «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لوقا ٢٣ : ٣٤). هذا هو السلام الذي يملأ قلب المؤمن ويحفظ له

هدوءه واتزانه، ويساعده على إظهار محبته وصلاحه أمام العالم. فأمور هذا العالم لا تقلق المؤمن الحقيقي. ومضايقات الأشرار لا تفقده سلامه لأنه متمتع بالسلام الممنوح له من الله، سلام الله نفسه. لذلك يجب على كل مؤمن أن يطلب هذا السلام ويجِدّ في أثره، حتى يتمتع به أثناء مسيره في البرية. مكتوب «لأن مَن أراد أن يحب الحياة ويرى أياماً صالحة فليكفف لسانه عن الشر وشفتيه أن تتكلما بالمكر، ليُعرض عن الشر ويصنع الخير، ليطلب السلام ويجد في أثره، لأن عيني الرب على الأبرار وأذنيه إلى طلبتهم» (بطرس الأولى ٣: ١٠-١٢). كما يجب على المؤمن أن يداوم على الصلاة والدعاء مع الشكر، حتى يحفظ سلام الله قلبه وأفكاره في المسيح يسوع. مكتوب «لا تهتموا بشيء بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر لتُعلم طلباتكم لدى الله. وسلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع» (فيلبي ٤ : ٦-٧).

الفصل الثاني

الشكر للرب

هذا الفصل يشمل تقديم الشكر للرب على الأخبار الطيبة التي وصلت الرسول عن إيمان فليمون بالرب وعن الصلاح الذي يعمله تجاه شركائه في الإيمان.

آيـــة ٤

«أشكـر إلهي كل حـين »

كان الرسول بولس معتاداً أن يفتتح رسائله بكلمـات الشـكر وتمجيـد الله. ومن المتعارف عليه أنه عندما يتكلم الناس عن الله يتكلمـون عنـه باعتبـاره إلـه الجميع ، وعندما يتكلم المسيحيون عن المسـيح يتكلمـون عنـه باعتبـاره مخلّص العالم. أما المؤمن الحقيقـي فعندمـا يتكلـم عـن الله فإنـه يتكلـم عنـه باعتبـاره "إلهه هو"، وعندما يتكلم عن المسيح يتكلم عنه باعتباره "المخلّص الشخصي

لنفسه هو". وهذا هو امتياز المؤمن الذي تعرف على الله ودخل معه في شركة حبية واتحد به. لذلك نرى هنا الرسول بولس يقدم الشكر إلى الله باعتباره "إلهه هو".

وإذا اعتبرنا أنه امتياز عظيم للمؤمن أن يكون الله إلهه هو، فإنه تنازل أعظم من جانب الله أن يخصص شخصه الكريم المبارك للمؤمن، وذلك حسب وعده إلى أبي الآباء ابراهيم باعتباره «أباً لجميع الذين يؤمنون» (رومية ٤ : ١١)، هذا الوعد القائل «وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً، لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك» (تكوين ١٧ : ٧). ألا يستحق هذا وحده منا كل شكر قلوبنا في كل حين؟ فكم وكم يكون شكرنا لله عندما ننظر النعم التي يغدق بها علينا باستمرار في ابنه: من نعمة الفداء. نعمة البنوة، نعمة الحياة الأبدية، نعمة سكنى الروح القدس فينا، نعمة الرعاية والعناية... وخلاف ذلك مما لا يُعد ولا يُحصى؟ لذلك يقول الرسول هنا «أشكر إلهي كل حين»، ويقول أيضاً «نشكر الله بلا انقطاع» (تسالونيكي الأولى ٢ : ١٣). ما أجمل حياة الشركة الدائمة مع الله، وما أبهج حياة الشكر كل حين.

إنه لمن المؤكد عدم وجود أي شيء في الوجود يستطيع أن يحول بين المؤمن وبين حياة الشركة الوثيقة مع المسيح، أو يستطيع أن يفصله عن محبة

مخلِّصه. هذا ثابت من حياة بولس الرسول نفسه. إذ أنه رغم وجوده في السجن، ورغم الأغلال التي كانت تُكبِّل يديه ورجليه. نراه يتمتع بفرص اختلاء مع الرب، ويفيض قلبه بالشكر والتسبيح. لذلك كان يحق له أن ينشد أنشودته الرائعة قائلاً «مَن سيفصلنا عن محبة المسيح. أ شدّة أم ضيق أم اضطهاد، أم جوع أم عري أم خطر أم سيف؟ كما هو مكتوب إننا من أجلك نُمات كل النهار» (رومية ٨: ٣٥-٣٦).

«ذاكراً إياك في صلواتي»

من العجيب أن القيود والأغلال لم تستطع، ليس فقط أن تمنع استمرار العلاقة بين بولس وإلهه، ولكنها أيضا لم تستطع أن تُنسيه أن يذكر دائما في صلواته أحباءه في الإيمان وشركاءه في الخدمة. إنه في الحقيقة أمر مخجل لمعظمنا إذ أننا كثيراً ما نتكاسل، بل ونهمل في علاقتنا مع إلهنا. وإذا تهيأت لنا الظروف بالاختلاء بالرب، فكثيراً ما تقتصر صلواتنا وطلباتنا على حدود ذواتنا واحتياجاتنا الشخصية، وإن امتدت فإنها بالكاد تمتد إلى أحبائنا المقربين لنا جداً، أما البعيدين عنا فليس لهم مكان في صلواتنا. كم يلزمنا أن نصلي من أجل الجميع، نصلي من أجل الرافضين لأنه مكتوب أن «طلبة البار تقتدر كثيراً في فعلها» (يعقوب ٥: ١٦)، ونصلي أيضاً من أجل القديسين لكي يؤيدهم الرب بالروح القدس ويحفظهم من الشرير. أما بولس

فكان يشكر إلهه كل حين ويذكر فليمون البعيد عنه في صلواته.

الآيــة ٥

«سامعاً بمحبتك، والإيمان الذ ي لك نحو الرب يسـوع، ولجميع القد يسـين»

إن الرسول يشكر الله من أجل الأخبار الطيبة التي سمعها عـن فليمـون. لقد كان فليمون متمتعا بنعمة الإيمان بالمسيح، كمـا كـان أيضـاً متمتعـاً بنعمـة المحبة لجميع القديسين. والحقيقة أن هاتين النعمتين، رغـم أن كـل منـهما متميزة عن الأخرى إلا أنها غـير منفصلـة عنـها، وذلـك لأن الإيمـان لابـد أن يثمـر محبـة، والمحبـة الحقيقيـة لا تنبـع إلا مـن الإيمـان. كمـا أن الوحـي الإلهي عندما يحدثنا عن الإيمان فإنما يحدثنا عن «الإيمان العامل بالمحبـة» (غلاطية ٥: ٦).

في هذه الآية يحدد الرسول موضوع الإيمان، وهـو شـخص الـرب يسـوع. لذلك يُسمى الإيمان المسيحي «الإيمان بيسـوع» (روميـة ٣: ٢٦). كمـا يحـدد فيها أيضا موضوع المحبة وهو «القديسـين»، وذلـك لأن محبـة القديسـين إنمـا هي شهادة على الإيمان. مكتوب «بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميـذي إن كـان لكم حبٌ بعضكم لبعض» (يوحنا ١٣: ٣٥). وواضح هنا أنـه يجـب أن تكـون المحبة لجميع القديسـين، بغـضّ النظـر عـن قاماتـهم الروحيـة أو مواهبـهم أو

أمزجتهم أو طوائفهم أو حتى طباعهم. كما يجب أن تكون محبة خالصة من قلب طاهر وبشدة لجميعهم (بطرس الأولى ١: ٢٢).

الآيـة ٦

«لكي تكون شركة إيمانك فعّالة في معرفة كل الصلاح الذي فيكم لأجل المسيح يسوع»

يوضّح الرسول في هذه الآية الدافع لصلاته. إنه يصلي لكي يؤيد الرب وينمي الناحية العملية في إيمان فليمون، حتى يكون إيماناً فعالاً في كل جوانب الصلاح والخير. والنمو في الإيمان – سواء في الناحية الروحية أو الناحية العملية – هو موضوع طلبة كل مؤمن لنفسه، ولغيره من المؤمنين ومن أهم الأمور التي يجب أن لا تغيب عن ذهن المؤمن أنه قدوة لغيره من القديسين، وأنه محط أنظار غير المؤمنين في جميع سكناته وحركاته. إن سلوك المؤمن بالمحبة والصلاح مع الجميع يمجد الرب، ويعزي المؤمنين ويسدّ أفواه الحاقدين. لذلك نجد الرب يسوع يقول للمؤمنين «أنتم نور العالم... فليضئ نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السماوات» (متى ٥: ١٤-١٦). فنمو المؤمن في فعل الصلاح يعود بالمجد لله أبينا والرب يسوع المسيح، لأن تمجيد اسمه هو الغاية وهو الهدف. لذلك نجد الرسول بولس يقول هنا..«لأجل المسيح يسوع».

آيـــة ٧

«لأن لنا فرحاً كثـيراً وتعزيـة بسـبب محبتـك، لأن أحشـاء القديسين قد استراحت بك أيها الأخ».

يعبِّر الرسول بولس هنا، بأسلوب في غاية الرقة، عن فـرح قلبـه وتعزيـة نفسـه بمحبة فليمون تجاه القديسين. فإذا كانت أحشاء القديسين قد اسـتراحت مـن آلام الجوع والحرمان بما قدمه لهم فليمون مـن أعمـال الصـلاح والرحمـة. فـإن نفوسهم قد استراحت أيضاً به بسبب حسن معاملته لهم ورقة مشاعره نحوهـم. مكتوب «مَن سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقـط باسـم تلميـذ. فـالحق أقول لكم إنه لا يضيع أجره» (متـى ١٠ : ٤٢)، فالله لا ينسـى تعـب المحبـة. وكما فرح الرسول بولس جداً وتعزى بسـبب محبـة فليمـون للقديسـين. كذلـك فرح أيضاً الرسول يوحنـا جـداً لأن أولاد «كيريـة المختـارة» يسـلكون بحسـب وصية الله «فرحت جداً لأني وجدت من أولادك بعضـاً سـالكين في الحـق كمـا أخذنا وصية من الآب» (يوحنا الثانية ٤). إن الوصية التي أخذناها مـن الآب هي «وصية جديدة أنـا أعطيكـم أن تحبـوا بعضكـم بعضـاً. كمـا أحببتكـم أنـا تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً» (يوحنا ١٣ : ٣٤). فمحبة القديسـين بعضـهم لبعض تمجد اسم الرب وتريح أحشاء القديسين أنفسهم.

الفصل الثالث

موضوع الرسالة

يُعتبر هذا الفصل هو صُلب الرسالة والهدف منها. إن الموضــوع الرئيســي لهذه الرسالة هو تشفع الرسول بولس لدى فليمون (السـيد) مـن أجـل أنسـيمس (العبد) الهارب ملتمساً منه أن يعفو عنه ويقبله لديه مرة أخرى.

والرسول لا يقدِّم التماسه هذا إلى فليمون مــن فـراغ. ولكنـه يؤسّسـه علـى عدة دعائم قوية وثابتة، بها يضمن اسـتجابة فليمـون لطلبتـه وتحقيقـه لرغبتـه فيريح أحشاءه. هذه الدعائم تتمثل في الآتــي :

أولاً: ما يتمتع به فليمون من صيت حسن

سبق ورأينــا بولـس في الفصـل السـابق (الآيـات ٤-٧) وهـو يقـدم الشـكر للرب في صلواته من أجل محبة فليمون وتعبه مع القديسـين. والرسـول، بذكـر

هـذه الصـلاة في رسـالته، يشـير إلى حُسـن صيـت فليمـون في المجتمـع وتقديـر المجتمع لأعماله الصالحة. وبما أن الرسـول يركّـز في صلاتـه علـى اسـتمرارية فعالية شركة إيمان فليمون في كل صلاح لأجل المسيح يسوع، فيبـدو أنـه بذلـك يوحي إلى فليمون بتكميل أعمـال صلاحـه بقبـول أنسـيمس لديـه مـرة أخـرى. فكما كان فليمون سبب بركة عظيمة للكثـيرين مـن القديسـين، فلمـاذا لا يكـون أيضا سبب بركة لعبده التائب الراجع إليه الذي رُبح أخيراً للمسيح؟!

ثانياً: سلطان بولس

آيــة ٨

«لـذلك، وإن كان لي بالمسيح ثقة كثيرة أن آمرك بما يليق».

رغم أن الرسول بولس كان يعلم أنه، بناء على السـلطان الرسـولي المعطـي له من الرب يسوع المسيح، له أن يتدخل بين فليمــون السـيد المؤمـن وأنسـيمس العبد المؤمن، إلا أنه لا يُحبِّـذ اسـتخدام هـذا السـلطان في الأمـور الزمنيـة الـتي يفصـل فيـها القـانون الوضعـي. فالرسـول كـان يُفضِّـل في مثـل هـذه الظـروف استخدام أسلوب المحبة الحكيم، وأسلوب الاستعطاف القلـبي، دون اسـتخدام أسلوب الأمر والنهي. على هذا النهج نجده يكتب إلى كنيسة كورنثــوس قـائلا «ليس أننا نسـود علـى إيمـانكم بـل نحـن مـوازرون لسـروركم لأنكـم بالإيمـان

تثبتـون» (كورنثـوس الثانيـة ١ : ٢٤)، وأيضـاً «إن كـان آخـرون شـركاء في السلطان عليكـم أ فلسـنا نحـن بـالأولى؟ لكننـا لم نسـتعمل هـذا السلطان بـل نتحمل كل شيء لئلا نجعل عائقا لإنجيل المسيح» (كورنثوس الأولي ٩: ١٢)

بنفس هذا الأسلوب يكتب بولس الرسول هنا إلى فليمون قائلاً: إن كـان لي بالمسيح ثقة كثيرة أن آمرك بما يليق... لكنني لا أريد أن أفعل ذلك لكن...

ثالثاً: المحبة

آيـــة ٩

«من أجل المحبة، أطلب بالحري»

إن المحبة هي الدافع الرئيسي في كل تصرفات المؤمنين. إنها ليست محبـة بولس لفليمون، أو محبة فليمون لبولس فقـط، ولكنـها المحبـة النابعـة مـن القلب نحو جميع المؤمنين. إنـها المحبـة الباذلـة، المحبـة الـتي لا تطلـب مـا لنفسـها (كورنثوس الأولي ١٣ : ٥). إنها المحبة النابعة من قلب الرب المحب التي أحـب بها أناس نظيرنا نحن الذين كنا أمواتاً بـالذنوب والخطايـا، ومـع ذلـك أحبنـا إلى المنتهى. مكتوب «كل مَن يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد وُلـد مـن الله. وكـل مـن يحب الوالد يحب المولود منـه أيضـا» (يوحنـا الأولي ٥: ١). لقـد كـان أنسـيمس مولودا من الله، فكيف لا يعامله فليمون من أجل المحبة ويقبله لديه مرة أخرى؟!

رابعاً: ظروف بولس الشخصية

«إذ أنا إنسان هكذا نظير بولس الشيخ، والآن أسير يسوع المسيح أيضاً»

يعزِّز الرسول بولس التماسه السابق، القائم على المحبة الخالصة. بذكر ظروفه الشخصية، بأسلوب في غاية من اللباقة والرقة «بولس الشيخ، والآن أسير يسوع المسيح أيضاً». إن الظروف الشخصية للخادم، خصوصاً الحرجة منها مثل كبر السن، ما بذله الخادم من أتعاب في الخدمة، وما تحمله من مشاق من أجل الكرازة بالإنجيل، تُضفي على الالتماس تقديراً أعمق وتأثيراً أقوى. صحيح أن الرسول بولس كان في حوالي الستين من عمره وقت كتابة هذه الرسالة، إلا أن الصعاب التي خاضها، والأغلال التي طالما قيَّدت يديه ورجليه، قد أضافت إلى عمره عشرات السنين، حتى بدا كشيخ عجوز. من يستطيع أن يرد طلباً لقديس متألم مثل هذا الشيخ القديس؟!

خامساً: تغيير أنسيمس

آيـــة ١٠

«أطلب إليك لأجل ابني أنسيمس، الذي ولدته في قيودي»

هذا هو صُلب الالتماس. ونلاحظ هنا رقة الأسلوب، فالرسول لا يقول

"اطلب منك" لئلا يؤخذ مطلبه على أنه أمر واجب النفاذ، إنما يقول «أطلب إليك»، أي "ألتمس إليك". أما هدف الالتماس فهو قبول العبد الهارب «أنسيمس» مرة أخرى لدي سيده. والرسول يصف هذا العبد بعبارة «ابني الذي ولدته في قيودي». هذه العبارة تدل على أن أنسيمس كان قد تقابل مع الرسول بولس في روما عندما كان الرسول في السجن. وأنه قد قَبِل الإيمان المسيحي بواسطة خدمة الرسول. لا شك أن هذا دليل قاطع على أن سلاسل السجن، وإن استطاعت أن تقيّد الجسد وحرية الحركة، إلا أنها لا تستطيع أن تقيّد الكرازة بالحق وببشارة نعمة الله. فإن سجن روما، بكل ما فيه من قسوة ووسائل تعذيب وحشية، لم يستطع أن يُفقد الرسول بولس نشاطه الكرازي وحماسه لخلاص الخطاة.

إن أنسيمس لم يعُد – بعد أن آمن – مجرد عبد، ولكنه أصبح ابن لبولس في الإيمان، وأخاً مؤمناً لفليمون. ففي يسوع المسيح «ليس عبد ولا حر» (غلاطية ٣ : ٢٨). هذا لا يعني أن اهتداء أنسيمس قد غيّر وضعه القانوني كعبد. أو أنه أدى إلى إلغاء ما عليه من مديونية، سواء تجاه القانون أو تجاه سيده، ولكنه يعني مع ذلك أنه قد أصبح لأنسيمس وضع جديد ومقام جديد أمام الله وأمام شعب الله. قال الرب «إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحرارا» (يوحنا ٨: ٣٦). لذلك كان على فليمون أن يضع ذلك موضع الاعتبار.

سادساً: مدى نفع أنسيمس

الآيـــات ١١-١٤

«الذي كان قبلاً غير نافع لك، ولكنه الآن نافع لك ولي، الذي رددته. فاقبله، الذي هو أحشائي. الذي كنت أشاء أن أمسكه عندي لكي يخدمني عوضاً عنك في قيود الإنجيل، ولكن بدون رأيك لم أرد أن أفعل شيئاً، لكي لا يكون خيرك كأنّه على سبيل الاضطرار بل على سبيل الاختيار»

إن كلمة أنسيمس تعنى "نافع" أو "مفيد" كما ذكرنا في المقدمة. ولكنه كان اسماً علي غير مُسمى. أما بعد الإيمان فقد تحول أنسيمس إلى شخص نافع بالحقيقة. فالإيمان يقوم بعملية تهذيب في الأخلاق، وتنقية في الضمير. واستقامة في السلوك. إن الإيمان الحقيقي لا يقف بالإنسان عند حد عدم فعل الشر، بل يمتد إلى إرشاده وحثه على فعل الخير. مكتوب «لا يسرق السارق في ما بعد، بل بالحري يتعب عاملاً الصالح بيديه، ليكون له أن يعطي مَن له احتياج» (أفسس ٤ : ٢٨). لذلك كان من الطبيعي أن لا يقتصر نفع أنسيمس على الرسول وحده، خصوصاً بعد أن صار خليقة جديدة وأصبح آنية كرامة نافعاً للسيد، بل أن يمتد نفعه وإخلاصه إلى سيده أيضاً وإلى الكنيسة جمعاء.

كان الرسول قد أحب ابنه في الإيمـان أنسيمس جـداً لدرجـة أنـه وصفـه بالقول «الذي هو أحشائي»، إلا أنه رغم ذلك أصر على عودتـه إلى سـيده مـرة أخري. ويتضح من قول الرسول «الذي رددته» أن أنسيمس كـان متخوفـا من العودة إلى سيده، إما من الكيفية التي سيستقبله بها فليمـون وأسـلوب معاملتـه له ، وإما خجلاً من الظهور في مجتمعه القديم الذي لابـد أن تكـون سمعتـه فيـه قد تلطخت. أما إصرار الرسول على ضرورة عودة أنسيمس إلى سـيده فقـد كـان تصرفاً مؤسَّساً على العلم بحق فليمـون في اسـتعادة عبـده الهـارب. صحيـح أن بولس كان يود أن يحتفظ بأنسيمس ليعاونــه في ظـروف سـجنه ومحاكمتـه. إلا أنه شعر أنه لو فعل ذلك دون موافقة فليمون فإنه يستعمل حقاً غير مرخص لـه به. فبولس لم يُرد أن يستغل فرصة وجود أنسيمس بعيداً عـن سـيده فيحصـل على هذه المنفعة أولاً، ثم يخطر فليمـون بـها بعـد ذلـك. لأنـه في هـذه الحالـة سيضع فليمون في موضع محرج لا يكون فيه أمامه إلا أن يوافق مجـبراً. لذلـك فقد فضّل بولس أن يعيــد العبـد إلى سـيده أولاً ، فـإن تطـوع فليمـون بعـد ذلـك بإعادته إليه مرة أخرى، فعندئذ تكون المنفعة الـتي يحصـل عليـها بولـس مـن فليمون ليست «علي سبيل الاضطرار بل علي سبيل الاختيار».

إن كلمة «أنسيمس» تعني ـ كما علمنا ـ "نافع"، كما أن كلمـة «فليمـون» تعني "محب" وهو لفظ يحوي معنى "الشفقة"، فـإذا توقعنـا أن يعيـش العبـد ويسلك بحسب معنى اسمه، فماذا يا ترى يكون موقف وسلوك السيد؟!

سابعاً: ترتيبات العناية الإلهية

الآيات ١٥-١٦

«لأنه ربما لأجل هذا افترق عنك إلى ساعة، لكي يكون لك إلى الأبد، لا كعبد في ما بعد، بل أفضل من عبد، أخاً محبوباً، ولا سيّما إليّ، فكم بالحري إليك في الجسد والرب جميعاً!».

يستكمل الرسول بولس هنا تشفعه من أجل أنسيمس، دون أن ينتقص أو يضعف من جسامة الخطأ الذي ارتكبه. إننا كأولاد الله نؤمن أن الله مسيطر على كل الأمور، حتى في أحلك ظروف الحياة، وأن «ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الإستقصاء» (رومية ١١: ٣٣). إننا نثق «أن كل الأشياء تعمل معا للخير، للذين يحبون الله» (رومية ٨: ٢٨). إن الله يستطيع أن يحوّل خسائر القديسين إلى ربح عظيم، في الوقت الذي يحدده هو، وبالطريقة التي يعينها هو. لقد سمح الله لهذا العبد أن يهرب من عند سيده ويذهب إلى روما، ثم رتبت له العناية الإلهية أن يقابل بولس هناك ويصبح مؤمناً. إنه من المؤكد أن فليمون وعائلته كانوا يقدمون الشهادة لذلك العبد، وكانوا يصلون لأجله، وقد استجاب الله صلواتهم. لقد سمح الله لفليمون أن يخسر عبداً خائناً وغير نافع، ولكن ليكسب - بعد فترة وجيزة من الزمن - نفس العبد، ولكن كخليقة جديدة في

المسيح سالكاً بالحق والأمانة ونافعاً. فبعد أن كانت علاقة فليمون بأنسيمس علاقة سيد بعبد، أي علاقة مؤقتة لابد أن تنتهي في يوم ما. إما بالعتق أو بالموت، أصبحت الآن علاقة من نوع جديد. لقد أصبحت علاقة قائمة علي أساس الأخوّة في المسيح، على أساس الاتحاد في الجسد الواحد. لقد أصبحت علاقة أبدية لا تنتهي. ففي المسيح أصبح العبد مساوياً لسيده في كل الأمور الروحية، إلا أن هذه العلاقة لا تستلزم أن يعتق السيد عبده. ولكنها تستلزم أن يحبه محبة الأخ المسيحي، سواء أبقاه عبدا أم حرره.

لقد هرب أنسيمس من كولوسي إلى روما كعبد، ولكن ليعود من روما إلى كولوسي كأخ. لقد أصبح أنسيمس أخا في المسيح لفليمون سيده. ما أعظم نعمة الله! !

ثامنا: تعهد بولس بتحمل المديونية

الآيات ١٧-١٩ أ

> «فإن كنت تحسبني شريكاً، فاقبله نظيري. ثم إن كان قد ظلمك بشيء، أو لك عليه دين، فاحسب ذلك علي. أنا بولس كتبت بيدي، أنا أوفي».

لم يكن في استطاعة الرسول بولس مغادرة روما للذهاب إلى كولوسي لحل

مشكلة أنسيمس مع فليمون، لذلك نراه هنا يقوم بإرسال أنسيمس نفسه. كممثله الشخصي. ملتمساً من فليمون قائلاً «فاقبله نظيري». كان هذا الالتماس قائم على أساس الشركة التي تربط الوسيط (بولس) بالمعتدى عليه (فليمون) وبباقي المؤمنين بما فيهم أنسيمس نفسه. إن جميع المؤمنين بلا استثناء هم شركاء في الإيمان (بطرس الثانية ١ : ١)، وفي المحبة (أفسس ٣: ١٨)، وفي الخدمة (كورنثوس الثانية ٨: ٤)، وأعضاء في الجسد الواحد (أفسس ٥: ٣٠)، كما أن جميع المؤمنين هم «شركاء الدعوة السماوية» (عبرانيين ٣: ١) و«شركاء الطبيعة الإلهية» (بطرس الثانية ١ : ٤) و«شركاء الروح القدس» (عبرانيين ٦ : ٤)، كما أن شركة المؤمنين هي «مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح» (يوحنا الأولى ١ : ٣). أما كلمة «إن» الواردة في أول الآية فهي للتأكيد وليست للتشكيك. إنها تعبير عن تأكيد الثقة في المحبة.

إننا هنا نري أن بولس يلتمس من فليمون أمراً يصعب على أي إنسان في وضع فليمون تنفيذه عندما يقول له «فاقبله نظيري». إن في استطاعة فليمون – تقديراً لمركز بولس ومحبته له وتجاوباً مع إرادته – أن يقبل أنسيمس لديه مرة أخرى، بل وأن يقبله إلى الأبد، أما أن يقبله نظير بولس حبيبه فهذا من المستحيلات، وإن تظاهر بقبوله فإنه بذلك يكون مرائياً.

إن ما لم يستطع فليمون – أو أي إنسان – أن يفعله، فهذا قد فعله الله

معنا بيسوع المسيح. إننا بالتأكيد لا نستطيع أن نقترب إلى الله على أساس استحقاقنا الشخصي، ولكن الله يقبلنا إذا أقبلنا إليه «في المحبوب» (أفسس ١ : ٦)، بل ويقبلنا بنفس مقياس ودرجة وأسلوب قبوله للرب يسوع المسيح نفسه. إنه أمر فعلاً يفوق الإدراك، ولا تستطيع الكلمات أن تعبِّر عنه.

إن كلمة «اقبله» هنا تحمل معنى "القبول في دائرة العائلة الواحدة" إننا قد نستطيع أن نتخيَّل إمكانية انضمام عبد إلى عائلة سيده. ولكن ما هو أعجب، بل ويفوق إدراك البشر. هو انضمام خاطيء أثيم إلى عائلة الله نفسه ! ! ولكن هذه هي الحقيقة المجيدة بعينها. إذ مكتوب «فلستم إذن بعد غرباء ونزلاً بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله» (أفسس ٢ : ١٩) .

لم يقتصر الرسول بولس في رسالته إلى فليمون على التماس قبول أنسيمس لديه مرة أخرى، بل ضمَّنها أيضا تعهداً منه هو شخصياً بالقيام بسداد جميع ما على أنسيمس من ديون. فالرسول بذلك لم يتجاهل جرائم العبد، ولم يغضّ النظر عن ما عليه من ديون، بل بالحري تطوع عارضاً بأن يقوم هو بنفسه بسدادها «فاحسب ذلك عليّ». ونلاحظ هنا أن الرسول يستخدم أسلوباً حكيماً وراقياً في عرض مطلبه على فليمون. لقد تجنب الرسول ذكر الكلمات التي تجسم خطأ العبد مثل "السرقة" أو "الاختلاس" أو "الخيانة"، وذلك حتى لا يؤذي مشاعر أنسيمس وقد أصبح أخا في

الرب، ولا أن يثير من جديد غضب وسخط فليمون. فهنا يعلمنا الرسول مبدأ هاماً في علاقة المؤمنين بعضهم ببعض هو "إذا قدم المخطئ توبة، فلماذا تذكر خطاياه القديمة؟!" يقول الحكيم «مَن يكرر أمراً يُفرق بين الأصدقاء» (أمثال ١٧ : ٩).

لقد كان حل هذه المشكلة يحتاج إلى ما هو أبعد من مجرد المحبة. كان لابد أن يُدفع ثمناً لذلك. إن الله لا يخلصنا بالمحبة فقط، بدليل أنه مع كونه يحب كل العالم فليس كل العالم قد حصل على الخلاص. إن الله يخلِّص الخطاة بالنعمة (أفسس ٢ : ٨-٩)، والنعمة هي المحبة التي تدفع الثمن. فالله في قداسته وأمانته وعدله لا يستطيع أن يتجاهل ما علينا من دين، علما بأن دين – أي أجرة – الخطية هو موت (رومية ٦: ٢٣). لذلك قام المسيح – الله الظاهر في الجسد (تيموثاوس الأولى ٣: ١٦) – بنفسه. بسداد هذا الدين نيابة عنا. فعندما مات المسيح على الصليب حمل خطاياي، وعومل هو بما كان يجب أن أُعامل به أنا. وعندما آمنت به كالمخلِّص الشخصي لنفسي صار شخصه هو بري، وعلي هذا الأساس أصبحت أنا فيه مقبولاً وبلا لوم قدام الله في المحبة.

ونلاحظ أنه عندما كتب الرسول عبارة «فاحسب ذلك عليّ. أنا بولس كتبت بيدي. أنا أوفي »، لم يكتبها اعتباطاً، إذ كانت هذه هي الصيغة

القانونية التي كانت سارية في ذلك الزمان للالتزام بسداد الديون. لقد كتبها بخط يده وكأنه هنا يوقع على صك بالدين وتعهد بسداده. إن بولس بذلك يضع نفسه في موضع المديونية الشرعية وما يترتب على ذلك من مسئوليات، ولكنه في نفس الوقت يضع فليمون في موضع التزام أدبي بقبول أنسيمس لديه مرة أخرى.

تاسعاً: مديونية فليمون لبولس

آية ١٩ ب

«حتى لا أقول لك إنك مديون لي بنفسك أيضاً».

بعد أن وضع الرسول نفسه في موضع المدين لفليمون، بتعهده أن يوفي دين أنسيمس، نراه هنا يُذكر فليمون أنه هو نفسه (أى فليمون) مدين لبولس بدين أعظم بما لا يقاس بالنسبة لما على بولس من دين. كان فليمون نفسه قد وُلد من الله بواسطة خدمة الرسول بولس، فلو فتح فليمون حساباً باسم الرسول وجعله مدينا بالخسارة المادية التي أصابته بسبب جريمة أنسيمس، فإن هناك حساباً دائناً لصلحة بولس على فليمون بقيمة الخدمات التي قدمها الرسول لفليمون، وبقيمة ما حصل عليه فليمون من حياة جديدة وخلاص أبدي، وما أبعد الفارق بين قيمة الحسابين!! فلو كان فليمون متمسكاً بشدة،

حتى هذه اللحظة بحقوقه الجنائية والمدنية تجاه أنسيمس. فأي خضوع واستسلام سيحدث فجأة لفليمون بعد قراءة هذه الكلمات الرائعة والعميقة في تأثيرها؟! ما هو مقدار خسارته علي كل حال؟! كم ستبدو هذه الخسارة ضئيلة، بل وتافهة، حتى ولو تعدت الملايين، في مقابل دين الخلاص العظيم الذي يدين به هو للرسول؟!

كما أن تذكير فليمون بأنه قد وُلد من الله على يد بولس نفسه. فهذا يشجعه أكثر على قبول أنسيمس لديه مرة أخرى، إذ أنه بذلك يكون فليمون وأنسيمس ليسا فقط أخوين في الرب، ولكن أيضا لهما أب روحي واحد هو الرسول بولس شخصياً.

عاشراً: ثقة بولس في طاعة فليمون

الآيات ٢٠-٢١

«نعم أيها الأخ، ليكن لي فرح بك في الرب. أرح أحشائي في الرب. إذ أنا واثق بإطاعتك، كتبت إليك، عالماً أنك تفعل أيضاً أكثر مما أقول»

كانت ثقة الرسول في فليمون ثقة كبيرة ثابتة غير متزعزعة. لذلك نجده هنا يعبِّر عن أفراح قلبه مقدّماً بطاعة فليمون له. إن كلمة «أرح أحشائي»

تعني "أنعِش قلبي". كم هو مُسِّر ومرضـي بـل ومريـح لأحشـاء العلمـين مـن القديسـين طاعـة المؤمنـين. لقـد كـان الرسـول في منتـهي الحـذر وهـو ينتقــي الكلمات التي يعرض بها موضوع أنسيمس على فليمـون. لئـلا يثـير مشـاعره أو يحزن قلبه. لذلك كان هو أيضاً واثقاً أن فليمون بدوره لن يحزن قلبـه. بـل إن ثقته في طاعـة فليمـون قـد أنعشـت قلبـه مقدَّمـاً. فلقـد كـان الرسـول واثقـا أن فليمون سيفعل أكثر جداً مما يطلب هو منه أو يتوقع.

عندما نراجع هذا الفصل، نستطيع أن نرى كم كان بولس رقيقاً في إقنـاع صديقه فليمون لكي ما يقبل عودة عبده الذي كان قد أخطأ في حقـه ويسامحه لم يكن قبول هذا الأمر سهلاً بالنسبة لفليمون. فلو تسـاهل مـع أنسـيمس فـإن ذلك سيؤثِّر على موقف ووضع سائر العبيد لديه. ولو تقسى على أنسـيمس فـإن ذلك سيشوب ويؤثر علي خدمتـه في كولوسـي. عنـد هـذه النقطـة تقـدَّم بولـس بالحل الصحيح والكـامل والمناسـب. صحيـح أنـه حـل مكلـف جـداً بالنسـبة لبولس إلا أنه كان راغباً ومستعداً من قلبه أن يتحمل التكلفة بالكامل.

إن وساطة بولـس بـين فليمـون (السـيد) وأنسـيمس (العبـد)، توضـح لنـا بصورة باهتة جداً مـا صنعـه الـرب يسـوع المسـيح لأجلنـا، عندمـا قـدَّم نفسـه طواعية ليتألم من أجل الخطايا، البـار مـن أجـل الأثمـة، لكـي يقرِّبنـا إلى الله (بطرس الأولى ٣ : ١٨). لقد قَبِل بكل سرور أن يضع الله عليـه إثـم جميعنـا.

لقد احتمل دينونة كل تعدياتنا، ووفّى جميع مطاليب عدالة الله التي كان يجب أن نتحملها نحن. إننا الآن نستطيع أن نسمعه - عندما تُعرض ملفات خطايانا على الله - وهو يقول له، ليس «احسب ذلك عليّ. أنا أوفي». بل يقول له "أحسب ذلك عليّ. أنا قد وفيت".

ألا يستحق هذا الإله المحب منا كل تمجيد وإكرام إلى الأبد؟!

الفصل الرابع

خاتمة الرسالة

ينهي الرسول بولس رسالته بخاتمة قصيرة تشتمل على ثلاث جزئيات الجزئية الأولى منها عبارة عن طلبة شخصية. وتشتمل الثانية على تحية أخوية، أما الثالثة فعبارة عن البركة الختامية.

أولاً: طلبة شخصية

آيــة ٢٢

«ومع هذا أعدد لي منزلاً، لأني أرجو أنني بصلواتكم سأوهَب لكم»

كان الرسول يتوقع إطلاق سراحه قريباً، كما كان يأمل في زيارة فليمون وأبفية في كولوسي. إن مجرد ذكر الرسول لرغبته في زيارتهم لابد أن يكون قد

حفّز وشجّع فليمون بـالأكثر علـى تنفيـذ تعليمـات بولـس. إذ أنـه لا يريـد أن يظهر في صورة مخزية عندما يتقابل معه وجهاً لوجه.

إن من الأمور الـتي تجـذب انتباهنـا بـل وتدهشـنا في هـذه "الطلبـة" أن رسولاً عظيماً، بل ومعلماً عظيماً مثل بولـس. يعلـن صراحـة أنـه في حاجـة إلى صلوات القديسين، كما يعلـن عـن ثقتـه أنـه بصلواتـهم سيفتح لـه الرب بابـا للخدمة في وسطهم. لقد كان قد سبق لبولس أن اختبر عملياً أن مفتـاح الصـلاة هو الوحيد الذي يستطيع أن يفتح أبوابـاً كثـيرة للخدمـة كـانت مغلقـة سـابقا هذا يؤكد لنا أن جميع الخدام. بما فيهم أشـهرهم. هـم في حاجـة إلى صلـوات حتى أصغر مؤمن. إن على الخـدام مسئوليات جسـيمة يصعـب عليـهم القيـام بـها دون مـؤازرة لهـم بـالصلاة. كمـا أنـهم معرضـون لمحاربـات ومغريـات متنوعة، علاوة على أنهم هدف لمقاومـة الأشـرار. لذلك فـهم دائمـاً في حاجـة للتعضيد بالصلاة إذ أن «طلبة البار تقتدر كثيرا في فعلها» (يعقوب ٥: ١٦).

ثانياً: تحية أخوية

الآيـات ٢٢-٢٣

«يسلم عليك أبفراس المأسور معي في المسيح يسوع،
ومرقس، وأرسترخس، وديماس، ولوقا العاملون معي»

نلاحظ هنا أن الرسول يرسـل إلى فليمـون تحيـات زملائـه الذيـن معـه في

السجن، وأيضا تحيات زملائه في العمل.

زملاء السجن

١- **أبفـراس:** «أبفراس» (مختصر «أبفرودتس»). اسـم يونـاني معنـاه "حسـن المنظـر" أو "فـاتن". كـان أبفـراس هـو العـامل الأساسـي في تأسـيس كنائس كولوسـي ولاودكيـة وهـيرابوليس (كولوسـي ٤: ١٣). وكـان أصـلا مـن كولوسي (كولوسي ١: ٧، ٤: ١٢). وأبفراس هذا غـير أبفرودتـس الـذي كـان خادماً في كنيسة فيلبي (فيلبي٢: ٢٥، ٤: ١٨). كان أبفراس هو الـذي حمـل إلى الرسول بولـس في السـجن الأخبـار الطيبـة عـن كنيسـة كولوسـي (كولوسـي ١: ٧-٨؛ ٤: ١٢-١٣).

صار أبفراس بعـد ذلـك رفيقـاً للرسـول بولـس في السـجن. ولم يذكـر لنـا الكتاب أسباب سجنه. ولكن يرى الكثيرون من المفسرين أنـه كـان ممنوعـا في ذلك الزمان أن يقوم أحـد بخدمـة المسجون إلا عبـده الشـخصي. لذلـك تطـوع أبفراس ليكون عبداً للرسـول حتـى يسـتطيع أن يخدمـه ويخـدم احتياجاتـه في السجن. وهكذا أصبح أبفراس سجيناً مـع بولـس. هـل يمكـن أن نطلـق علـي أبفراس لقب "الحر العبد"؟!

كان الرسول يكّن لأبفراس تقديـراً خاصـاً جـداً. يظـهر جليـاً في الألقـاب الـتي أطلقـها عليـه مثـل: «العبـد الحبيـب معنـا» الـذي هـو «خـادم أمـين

للمسيح» (كولوسي ١ : ٧) و«عبد للمسيح» (كولوسي ٤ : ١٢) و«له غيرة كثيرة» (كولوسي ٤: ١٣). قال الرب «مَن سقاكم كأس ماء باسمي لأنكم للمسيح فالحق أقول لكم إنه لا يضيع أجره» (مرقس ٩: ٤١).

٢- أرسترخس: «أرسترخس» اسم يوناني معناه "خير حاكم". هو رجل مكدوني من تسالونيكي (أعمال ٢٠: ٤؛ ٢٧ : ٢) وأحد رفاق بولس في السفر (أعمال ١٩: ٢٩). وكان أرسترخس مسجوناً مع بولس في روما (كولوسي ٤: ١٠)، إلا أن أسباب سجنه غير معروفة.

زملاء العمل

١- مرقس: «مرقس» اسم لاتيني معناه "مطرقة". هو ابن أخت برنابا (كولوسي ٤ : ١٠). والأرجح أنه هو كاتب الإنجيل الثاني. كان مرقس رفيقاً لبولس وبرنابا في الرحلة التبشيرية الأولى (أعمال ١٢: ٢٥). ثم فارقهما في برجة (أعمال ١٣ : ١٣)؛ مما تسبب في مشاجرة قوية بين بولس وبرنابا (أعمال ١٥: ٣٦-٤٠). تصالح بعد ذلك مرقس مع بولس ورافقه إلى رومية (كولوسي ٤ : ١٠؛ فليمون ٢٤)، وقد اعتبره بولس أنه نافع له للخدمة (تيموثاوس الثانية ٤: ١١).

٢- ديماس: «ديماس» اسم يوناني معناه "من الشعب". وهو في الغالب مختصر لاسم ديمتريوس. كان ديماس شريكا لبولس في الخدمة. ثم هجر

الرسول، لأنه لم يود أن يتحمل الألم والاضطهاد وذهب إلى تسالونيكي. إن مظـاهر تدهور حالة ديماس الروحية تضح مـن كلمـات بولـس الرسـول المذكـورة في رسـائله المختلفة. فبينما يصفه الرسـول في هـذه الرسـالة إلى فليمـون ضمـن الملقبـين بـ«العاملون معـي» (عـدد ٢٤)، يذكـر اسمـه مجـرَّداً مـن أي ألقاب في (كولوسي ٤ : ١٤)، ثم يكتب عنـه إلى تيموثـاوس قـائلاً بأسـى «لأن ديمـاس قـد تركـني إذ أحب العالم الحاضر وذهب إلى تسالونيكي» (تيموثاوس الثانية ٤ : ١٠).

٣- لـوقـا: «لوقا» اسم لاتيـني معنـاه "نـور"، وربمـا كـان اختصـار "لوقانوس" أو "لوكيوس"، ولكنـه غـير لوكيـوس المذكـور في (أعمـال ١٣ : ١، رومية ١٦ : ٢١). كان لوقا طبيباً وصديقاً لبولس ورفيقاً لـه في الخدمـة، وكـان بولس يطلق عليه لقب «الطبيب الحبيب» (كولوسي ٤ : ١٤) و«العـامل معنـا» كما في هذه الرسالة. ولوقا هذا هو كاتب الإنجيل الثالث وسفر أعمال الرسل.

ثالثاً: بركة ختامية

آيـــة ٢٥

«نعمة ربنا يسوع المسيح مع روحكم. آمين»

هذه هـي تحيـة بولـس الرسـول الخاصـة كعلامـة مسـجلة في نهايـة كـل رسـالة. إنـها بمثابـة التوقيـع باسمـه علـى الرسـالة. إنـها عبـارة عـن صـلاة بسـيطة، ولكنـها عميقـة، لأجـل فليمـون وعائلتـه والكنيسـة الـتي في بيتـه.

فالنعمة هي عطية مجانية لمن لا يستحق. والرب يسوع المسيح هو الواهب لكل النعم (يعقوب ٤ : ٦) لأنه هو «إله كل نعمة» (بطرس الأولى ٥: ١٠).

بهذه البركة الختامية ينهي بولس الرسول رسالته إلى فليمون. وكأنه بها يذكِّره بأن جميع خطاياه التي اقترفها في حق الله قد نال عنها - بالتوبة والإيمان - غفراناً على حساب نعمة ربنا يسوع المسيح إذ مكتوب «الذي فيه - أي في المسيح - لنا الفداء بدمه غفران الخطايا. حسب غنى نعمته» (أفسس ١ : ٧). أ فلا يستلزم هذا منه بالتالي أن يغفر لعبده أنسيمس ما أخطأ به في حقه هو بالنعمة أيضاً؟!

قال الرب له كل المجد بفمه الكريم المبارك «بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حبٌ بعضٌ لبعض» (يوحنا ١٣ : ٣٥).

فهرس

مقدمة ٣

من هو فليمون؟ ٣

مكان وتاريخ كتابة الرسالة ٤

ظروف كتابة الرسالة ٥

من هو أنسيمس؟ ٨

محتويات الرسالة ٨

الفصل الأول : التحية الافتتاحية ٩

السلام مع الله ١٦

سلام الله أو سلام من الله ١٧

الفصل الثاني: الشكر للرب ١٩

الفصل الثالث : موضوع الرسالة ٢٥

أولاً: ما يتمتع به فليمون من صيت حسن ٢٥

ثانيا: سلطان بولس ٢٦

ثالثاً: المحبة ٢٧

رابعا: ظروف بولس الشخصية ٢٨

خامسا: تغيير أنسيمس ٢٨

سادسا: مدى نفع أنسيمس ٣٠

سابعا: ترتيبات العناية الإلهية ٣٢

ثامنا: تعهد بولس بتحمل المديونية ٣٣

تاسعا: مديونية فليمون لبولس ٣٧

عاشرا: ثقة بولس في طاعة فليمون ٣٨

الفصل الرابع : خاتمة الرسالة ٤١

أولاً: طلبة شخصية ٤١

ثانيا: تحية أخوية ٤٢

ثالثا: بركة ختامية ٤٥

يُطلب من: **مكتبة الإخوة** ٣ش أنجه هانم – شبرا مصر ت: ٥٧٩٢٢٨٤

بريد الكتروني: brethren_pub@writeme.com

وفروعها: مصر الجديدة : ٦٥ش نخلة المطبعي تريومف ت: ٢٩٠٤٠٠٣

الأسكندرية : ٦ش الفسطاط كليوباترا ت: ٥٤٦٥٣٦٦

المنيا : ٦ش الجيش ت: ٣٦٤٤٠٦

أسيوط : ٢١ش عبدالخالق ثروت ت: ٣٤٢٠٢٨

ومن المكتبات المسيحية الكبرى

طبع بمطبعة الإخوة بجزيرة بدران

رقم الإيداع: ١٩٠٣٤/٢٠٠٠

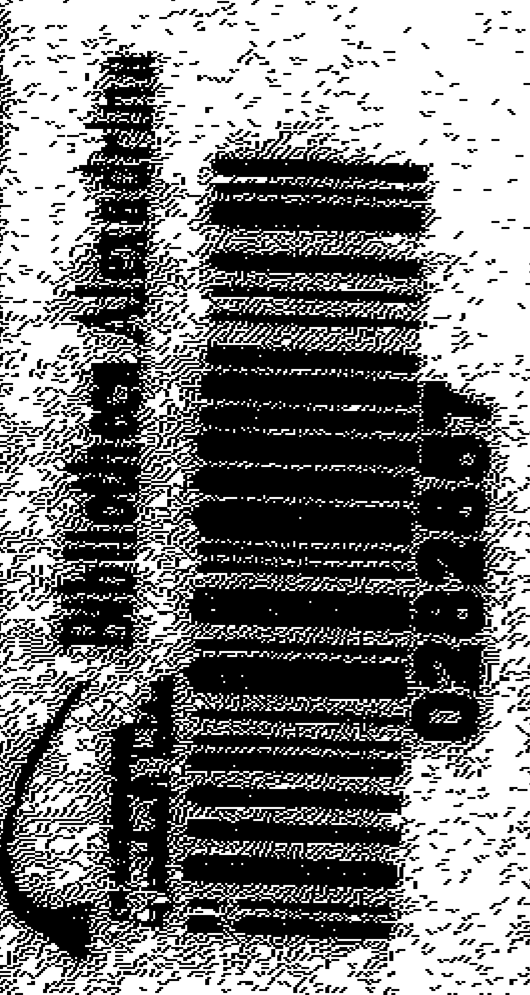
الترقيم الدولي: *ISBN 977-321-030-8*

في هذا الكتاب

■ إن سلاسل السجن، وإن استطاعت أن تقيد الجسد وحرية الحركة، إلا أنها لا تستطيع أن تقيد الكرازة بالحق وبشارة نعمة الله.

■ إن الإيمان يقوم بعملية تهذيب في الأخلاق، وتنقية في الضمير، واستقامة في السلوك، ولا يقف بالإنسان عند حد عدم فعل الشر، بل يمتد إلى إرشاده وحثه على فعل الخير.

■ لم تأت المسيحية لتحرر العبيد من عبودية أسيادهم من البشر، إنما جاءت أساساً لتحرر الإنسان عموماً من عبودية الخطية، ولتفك أسره من قيود إبليس، ولتقربه إلى الله، ولتعده لملكة السماء.



■ قد نستطيع أن نتخيل إمكانية انضمام عبد إلى عائلة ما هو أعجب، بل ويفوق إدراك البشر، هو انضمام إلى عائلة الله نفسه.